
جماليات الإقناع في الأسلوب القرآني

أ.د. جمال حضري

قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات

جامعة المسيلة

ملخص:

يتناول هذا البحث مسألة الحجاج ويعتبره مكونا ضمنيا ولغويا في نفس الوقت وهو بذلك يربطه بمباحث العقل في القرآن عند التراثيين والتي أسموها الجدل. لكنه يستدرك في نفس الدرس مباحث لها مصطلحات أخرى مثل "الالتفات" و"الحقيقة والمجاز" و"الناسخ والمنسوخ" و"العموم والخصوص" و"الظاهر والتضمين" وغيرها كثير، وفيها يصرّ الباحثون على الغاية التأثيرية والإقناعية التي تميزها بالنظر إلى استهدافها السامع، ويسلكها ضمن الحجاج تبعا لما توصلت إليه البحوث النظرية في الحجاج، وهذا ما جعلها أقرب إلى الدرس اللغوي والبلاغي منه إلى الدرس الفلسفي الذي تغني عنه مباحث التراث في "الجدل".

كلمات مفاتيح: الحجاج، الإقناع، الأسلوب، المتلقي، المرسل، الرسالة،

المنظور، الحجة، اللغة، الخطاب.

Résumé:

Cette étude envisage le problème de l'argumentation et le considère comme constituant implicite et linguistique ; en le liant, de cette façon, avec les études sur la raison dans le coran chez les savants de la tradition qui l'on nommée la dialectique.

Mais elle revalorise, en cours, d'autres études autrement nommées en: «liaison par anaphore», «réalité et trope», «abrogeant et abrogé», «généralité et spécificité» et «apparent et implication » entre autres. Les chercheurs insistent sur leur fin effective et persuasive qui les distinguent en

visant le récepteur, et les rongent dans l'argumentation selon les résultats qu'ont réalisés les recherches théoriques dans ce domaine. Ce qui les rapprochent de la linguistique et la rhétorique plutôt que de la philosophie qui pourra être remplacée par les études patrimoniales en «dialectique».

Mots clefs: argumentation, persuasion, style, récepteur, expéditeur, message, perspective, argument, langue, discours.

القراءة المتفحصة للمدونة الإعجازية تكتشف تناولا متكاملا لمكونات الخطاب القرآني خصوصا ولمكونات الخطابات الغائبة عموما خاصة الأدبية منها، ولأن تلك المدونة كانت بصدد إبراز مكنن التفوق الأسلوبي لم يفتها أن تنظر إلى الخطاب وهو في خضم معركة مغالبة ومنافسة، فكان المكون الحجاجي باعتباره أسلوب المحاوراة والإقناع والتأثير من أبرز ما أثارته، ولأن طبيعة الخطاب القرآني باعتباره متحديا للمتلقين قبل أن يكون رسالة دعوية هادئة ومحايمة فقد دفعت هذه الطبيعة النزاعية الدارسين إلى الإمساك بالبعد الحجاجي وتلمس آثاره دون أن يستوعبوه كليا من الناحية النظرية، إذ لم يسعفهم الجهاز الحاضر حينها على تأطير الحجاج في كل أبعاده رغم وعيهم التام بها، ولذلك أسبابه ودواعيه التي سنحاول إضاءتها في هذه الدراسة.

إن الموروث البلاغي والفلسفي الذي كان قمينا بهذا التأطير النظري كان يعاني منذ منشئه لدى الإغريق من حمولة تقدر في الكثير من جوانبه وخاصة الحجاجية منها، فلما وصل بيئة الدارسين للإعجاز وهم منكبون على رد المطاعن ودفعت الشبهات عن الخطاب القرآني كان حذرهم أشد وكانت تصفيتهم للأدوات وخلفياتها قوية وحادة، ومن هنا ينبثق هدف هذه الدراسة في استعادة البعد الحجاجي في الخطاب القرآني في شموله، فترصد مناط الاحتجاج تحت مسمياته الإعجازية وتستوضح قيمه التأثيرية، فهي ليست دراسة تطبيقية على النص ولكن دراسة لمجمل

الآراء في إعجاز الخطاب القرآني من حيث هو خطاب حجاجي يستهدف الإقناع وإلزام الخصم ودفعه بعد التسليم إلى العمل بمقتضى القناعة المتولدة عن الحجة القرآنية، فالدراسة تستهدف إثبات تجاوز منظور الخطاب القرآني في بعده الحجاجي للإطار الجدلي الذي سلكت فيه مظاهره القرآنية، بما جعل الدارسين وهم يحاولون الالتزام بالتعريف الفلسفي للحجاج يدرجون الكثير من المباحث -مما له بالحجاج علاقة- في عناوين مستقلة لا يوجد أي مبرر لعدم انخراطها فيه، وتلك مهمة أساسية للبحث يحاول التصدي لها مع كل الحيطة والحذر.

فروية البحث في هذا الموضوع الجزئي أي الحجاج هي كونه مكونا ضمنيا ولغويا في نفس الوقت أي يستوعب ما شقه التراثيون لمباحث العقل في القرآن وأسموها جدلا أو أسلوبا حكيما وغيرها كما يستدرك في نفس الدرس مباحث لها مصطلحات أخرى مثل "الالتفات" و"الحقيقة والمجاز" و"الناسخ والمنسوخ" و"العموم والخصوص" و"الظاهر والتضمين" وغيرها كثير، وفيها يصر الباحثون على غاياتها التأثيرية والإقناعية بالنظر إلى استهدافها السامع، ويسلكها ضمن الحجاج مستلهما هذه المرة أحدث ما توصلت إليه البحوث النظرية في الحجاج، والتي جعلته أقرب إلى الدرس اللغوي والبلاغي منه إلى الدرس الفلسفي الذي يغني عنه ما استفاه التراث في "الجدل".

أساليب الإقناع في ضوء القصد الإعجازي

لا نبالغ إذا قلنا بأن الخطاب القرآني فرض على الدارسين منهج بل مناهج تناوله، ولذلك نكتشف بسهولة ماذا حل بالمباحث الجدلية القديمة وهي بين أيدي من تصدوا لدراسة الإعجاز القرآني، رغم أن رؤية هذا الخطاب كخطاب حجاجي لا يختلف فيها اثنان ومعنى الحجاج هنا هو توليفة العقل والخطاب التي تجمع بين

البرهان العقلي والخطاب التأثيري. وكاد جمع الخطاب القرآني بينهما أن يولد منطقا جديدا تتزوج فيه الآليتان تزوجا لا يبين جرائها هل نحن بصدد خطاب تستعذبه العقول أم بصدد حذاء تستلذه القلوب.

والدارسون أنفسهم، وقد غلبوا المنظور العقلاني، لم يغب عن أنظارهم المكون التأثيري التجريبي، أي ما أسموه بحق "التأثير العجيب في النفوس". وهي عبارة لا يمكن أن يلامسها إجرائيا إلا الحجاج في أوسع معانيه، أي حجاج الخطاب ومنطق اللغة التي نزل بها القرآن وما تنطوي عليه من إمكانات الربط الحجاجي بين مختلف مستويات تشكيل الملفوظات والجمل. فالمكون التأثيري الإقناعي في الخطاب القرآني متنوع الوسائل، ولا يميز في ذلك بين الاستدلال العقلي والاستدلال الخطابي.

وهذا التزواج فيه مراعاة لطبيعة المتلقي الذي توجه إليه الخطاب القرآني، طبيعة تتميز بالتنوع والاختلاف والانفتاح. فهو ليس خطابا تعليميا بحثا فتتسجم استراتيجيته بشكل مطرد، ولا هو خطاب عقلي استدلالي خالص، فتظهر شبكة براهينه واضحة، ولا هو بالخطاب التحريضي الصرف، فتحكمه الصور الأسلوبية المختلفة عارية عن كل فعالية ذهنية. فإذا كان الخطاب القرآني كل ما ذكر معا، فإن الجهاز الحجاجي لا يقتصد في استغلال كل الوسائل المحققة للإقناع لجميع أصناف المخاطبين وفي سياقاتهم المختلفة. فالقرآن كلام موجّه للجميع، تفهمه العامة بما هو عليه، كما تفهمه الخاصة بما تتوصّل إليه من العمق في الفهم، لأنّ "طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدّق بالبرهان ومنهم من يصدّق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية"¹.

فالخطاب القرآني من حيث هو رسالة تريد إقناع المتلقين واستمالتهم ودفعهم إلى تغيير المعتقدات والسلوك، لم يوفر أية وسيلة يستخدمها العرب إلا واستخدمها

حتى أرى على موروثهم. ولكنه من ناحية آليات درسه وتناوله، جعل دارسيه في حيرة تجاه الهيكل النظري الذي يسلكون فيه جهاز حجاجه. فأما مالهم به عهد، فما أسرع ما رده إلى "عادة العرب في كلامها"، وأما ما لم يكن لهم به عهد، كمباحث الحجاج والجدل، فقد اتجهوا إلى عملية تصفية للإجراءات تكشف عنها الكثير من المضامين المسكوت عنها. وخير دليل على ذلك موقف الإمام الباقلاني تجاه مناط الإعجاز، أيدرج ضمن النطاق البلاغي أم أن البلاغة لا تصلح وعاء للإعجاز؟ وكأن القسمة الأرسطية بل السقراطية أساسا كانت وراء وصمة البلاغة على مدار التاريخ، فوجدنا الدارسين تحت أثر التنزيه من جهة والقدح في النظرية من جهة أخرى، يعالجون مظاهر أسلوبية عديدة هي من صميم الحجاج الإقناعي، ولكن لكونها من حجاج الخطاب أدرجت متفرقة وتم السكوت عن إطارها النظري. وأما ما كان عرضة للانتقاد، فقد غيرت أسسه النظرية تماما كما كان شأن المجاز عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.

وفي هذا البحث عودة إلى صميم الخطاب القرآني من حيث جمعه بين خطاب الإمتاع والإقناع والحض على العمل، وإلى مدونة الدراسات وجمع ما أمكن تحت حجاج الخطاب باعتباره حجاج العربية وآلياتها وما ينطوي عليه استعمالها من طاقة إقناع وتأثير في كل المستويات حتى الإيقاعي والصوتي منها، مع أننا اكتفينا بمستويي الدلالة والنظم.

في **منطق الخطاب** إذا ستشغل اللغة أدوات تشكيل الكلام، فتشحنها بطاقة التأثير والإقناع، وهنا قسّمنا نطاق الدراسة إلى قسمين:

قسم يلتقط الحجة القرآنية كما درسها التراثيون، ويغلب عليه مراعاة التنزيه لصاحب الحجة، فيتحكم في دلالتها الإفرادية والنظمية.

وقسم يغلب عليه اعتبار مقام المتلقي وأحواله، وهنا تصطبغ الحجة بأثر هذا الاعتبار.

الإقناع ومنطق الخطاب:

تسعفنا الدراسات الإعجازية في هذا المجال من خلال إبرازها للخلفية الكلامية، والتي تبدو مناسبة جدا للإلمام بالإجراءات الحجاجية، حيث نجد هذه الخلفية متحكمة في مقاييس الإعجاز ومفاهيمه، خاصة وأن هذه الدراسات نمت في إطار كلامي نشيط له، الكثير من المصادر والاعتبارات العقدية. وهو منطلق ضروري، لأنه كان بالفعل خلف تلك المباحث، ثم لأن هذه المباحث لا يمكن فهم حقائقها وتنوعها في معزل عن الإحاطة بالمحضن الكلامي الذي استجابت لضغوطه.

ولكون الحجاج يحدث بين طرفين، نحصل على دائرة الحجاج الثلاثية:

- صاحب الحجة

- ومتلقي الحجة

- والحجة ذاتها

وطبيعة الحجاج ستكون متغيرة تبعا لأهمية مقصد أحد الطرفين المحاجج أو

المحجوج، وعليه يكون نسق التقاط الحجاج متفرعا إلى فرعين:

قطب: صاحب الحجة-الحجة

وقطب: الحجة- متلقي الحجة:

***قطب صاحب الحجة-الحجة:** هنا يهيمن صاحب الحجة ويتحكم في مضمون الحجة وقيمتها الحجاجية، فلا يستطيع المتلقي فهمها أو تأويلها إلا برعاية مقاصد صاحبها:

ضمن هذا القطب يمكن أن نعتبر كل الوسائل التي يتحكم بها المحاجج في

الكلام ، كنوع من التشفير الذي يبقى المعنى في حوزته. وما على المتلقي للحجة إلا

استتباط المعنى المتضمن وفق الشروط التي وضعها صاحب الحجة نفسه، وإلا لم تنجح الحجة ولم يحصل السلوك المطلوب من المتلقي.

أ- التحكم في العلاقات الدلالية:

الحجاج تسويق لمعنى وأداء لمضامين، وكون المعنى في لبوس الحجاج معناه انطواؤه على قيمة إضافية على مجرد الإبلاغ، ولذلك يتحكم صاحب الحجة في الحمولة الدلالية ولا يترك للمتلقي إلا نطاقا ضيقا، تماشيا مع طبيعة الخطاب القرآني باعتباره خطابا ناجزا لم يعد بمقدور المحجوج أن يراجع صاحب الحجة في شيء، فقد استقر الخطاب بما هو عليه. ولذلك يعتبر موقف المحجوج هنا هو الأضعف لأن طبيعة الحجج العقديّة خاصة، تتميز بانغلاقها واحتفاظها بقيمها الدلالية بعيدا عن سياق المتلقي لعدم حاجتها إليه حتى يتحقق فهمها. بعبارة أخرى، الحجة ههنا تحقق مدلولها ضمن سياقها الخاص، سياق يرتبط بالتنزيه والتعريف بصاحب الحجة أكثر من ارتباطه بالمتلقي، فهو لا يتحكم في عملية الحجاج إن لم نقل هو متلق سلبي تماما، لأن صاحب الحجة يورد الحجة ويتحكم في تأويلها ودلالاتها، فلا تخضع الحجة أو تكاد لسياق المتلقي أو شروطه.

ينعكس تحكم صاحب الحجة دلاليا في تقييد علاقة اللفظ بالمعنى، فالوصول إلى المعنى انطلاقا من اللفظ أو الدال رهينة بقصد المحاجج أو صاحب الحجة، فلا يستطيع المتلقي أن يذهب بالمعنى أي مذهب خارج الإطار الدلالي الذي ربط به المحاجج حجته، ونستطيع هنا أن نرسم دائرة الحجاج كما يلي:

المحاجج - الحجة - المحجوج

فدائرة الحجاج الكاملة تتمثل في أطراف الحجاج، وإذا غابت الأطراف واقعيًا كما هو حال الخطاب القرآني بين متكلم أوحى خطابه ومتلقي افتراضي، تأخذ

المقاصد والسياقات مكان الأطراف المتحاجة، والمقصد يتنوع بتنوع سياقات الحجاج فقد يكون القصد معنى شرعيا أو لغويا ..الخ، وفي حالة الحجة القرآنية في هذا المستوى، تتعطل كلية سياقات المتلقي ومقاصده وأفق تلقيه مما يؤدي إلى اختزال الدائرة السابقة إلى:

الحجة = اللفظ (الدال) + القصد (الشرعي هنا)

بحيث تظهر الحجة وقد عكست مصدرها من خلال الانتماء إلى فضاء دلالي يتحكم فيه، فلا تتصرف الحجة إلا وفق منظومة القيم التي يحرسها ويرعاها، وبهذا المعنى تصرف الكثير من الدارسين تجاه مطاعن المشككين في إعجاز القرآن الكريم، فانطلقوا من اعتبار مقام صاحب الحجة لعيدوا كل مطعن إلى فضائه الدلالي المنسجم مع صاحب الحجة. فإذا أخذنا مثلا على ذلك ابن قتيبة، وجدناه يجعل المصادرة على المحاجج هي القطب الذي يراعيه في رده المطاعن إلى صور كاملة الانسجام مع فضائها النصي ومنظومتها العقدية. فإذا اقتضى التنزيه أن يعدل بمعنى اللفظ كلية، فَعَلَ ذلك كما في قوله تعالى: "ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين" ²، فيذهب إلى أن الله تعالى لم يقل ولم يقول، وكيف يخاطب معدوما، وإنما هذا عبارة: لـ "كوناهما فكانتا" ³. فرد العبارة إلى الصيغة التقريرية واستبعاد صيغة الطلب هو الذي يلائم الانسجام العقدي الذي يأبى أن يقول الله للجماذ ويقول هو الله.

والقاعدة التي كثيرا ما يلمح لها دارسو الحجاج المحدثون وهي الاتفاق بين أطرافه، تتمثل هنا في العرف اللغوي التداولي، يقول ابن قتيبة "وقد تبين لمن قد عرف اللغة، أن القول يقع فيه المجاز، فيقال قال الحائط فمال، وقل برأسك إلي أي أمله

مستويات دلالة الحجة: فإذا تجاوزنا مستوى الحجة العقدية إلى الحجة الحُكْمِيَّة التي هي مناط استنباط الأحكام، كنا بصدد نطاق هام جدا من الحجاج، هو قابلية الحجة ليس لإحداث الاقتناع والتقبل فحسب، ولكن الدفع باتجاه العمل بمقتضاها وترجمتها سلوكا عمليا. وهنا ينعكس تحكم صاحب الحجة في صورة التراتب الحجاجي، أي ترتيب الخطاب القرآني حسب التدرج في علاقة دال الحجة بمدلولها، أو عبارة الحجة بمقصدها. ونحاول اكتشافها من زاويتين: زاوية أصولية وأخرى بلاغية، وهو تصنيف دراسي بحث، لأن مدونة البحث لم تُقَم هذا الفصل، مما يجعل وجود عناوين بلاغية وأخرى فقهية وثالثة نحوية الخ.. مشوشا وباعثا على الحيرة، فيستدعي مزيدا من التنظيم والقراءة المنهجية للمدونة:

1- المنظور الأصولي:

الحجة بين دلالة المنطوق والمفهوم:

الحجة لا تدل فقط بمنطوقها، أي من خلال العلاقة بين الدال والمدلول، بل إن الدلالة قد تكون حافة متجاوزة لهذه العلاقة، فتصبح دلالة جانبية:

- **دلالة المنطوق:** تخضع دلالة الحجة لمقصد صاحبها، فالعلاقة بين اللفظ ومعناه أو بين النص ومدلولاته يتحكم فيها صاحب الحجة كلية من خلال قرائن التأويل، فهناك فصل بين ما يقبل التأويل وما لا يقبل، يقول ابن القيم " لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم وكان مراده لا يعلم إلا بكلامه، انقسم كلامه ثلاثة أقسام، أحدها ما هو نص في مراده لا يحتمل غيره، الثاني ما هو ظاهر في مراده وإن احتمل أن يريد غيره، الثالث ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد بل هو مجمل يحتاج إلى البيان" ⁵.

فالقسم الأول ليس إلا لصاحب الحجة أن يعطيه مدلوله، فلا يتدخل المتلقي بالتأويل أبداً، وإن حدث ذلك كان صرفاً للحجة وكذباً على صاحبها، ومثاله نصوص القرآن الصريحة في معناها كنصوص آيات الصفات والتوحيد.

والقسم الثاني يهيمن فيه صاحب الحجة من خلال المعنى الظاهر الدال على مراده، ولكنه يقبل تدخل المتلقي بالتأويل، شرط ألا يطرّد استعماله في الخطاب القرآني على ذلك المراد الظاهر، و إلا استحال الانصراف عنه.

والقسم الثالث مجمل جعل صاحب الحجة بعضه بيانا لبعض، فلا يتدخل المتلقي بالبيان لهذا الإجمال إلا بعرض النصوص بعضها على بعض داخل المنظومة الخطابية وليس من خارجها.

كل هذا الاشتراط هدفه بقاء الدلالة على الحقيقة مرعية، لذلك يوجب على

المتأول جملة أدلة هي:

- أن يثبت صارف اللفظ عن معناه الظاهر احتماله للمعنى المتأول في التركيب الذي ورد فيه، إذ يمكن للفظ أن يحتمل المعنى مفرداً، ولا يحتمله كجزء من التركيب، وهذا ما يضمن للحجة أداء وظيفتها مع مراعاة الانسجام الدلالي متمثلاً في مقاصد صاحب الحجة.

- أن تكون للمتأول قرينة ودليل على تعيين المعنى الذي صرف إليه اللفظ، لأن كل إخراج للفظ عن حقيقته يفتحه على احتمالات عديدة فلا بد من قرينة تسوّغ تعيين المعنى المختار من بينها.

- أن يكون للمتأول دليل على عملية التأويل ذاتها، لأن الأصل هو رعاية الحقيقة والظاهر، وأي عدول عنهما يحتاج إلى دليل صارف يكون أقوى من دليل الاحتفاظ بالظاهر⁶.

هذا ما يبرز طبيعة الحجة القرآنية في دلالتها على المقصود الرباني، إنها دائرة محفوفة بالاحتياط، لأنها أساس معرفة أمر ونهي صاحب الحجة القرآنية، وأساس لمعرفة صاحب الحجة سبحانه، لذلك يؤكد ابن القيم هذه الحيلة بالقول: " فإن مدعي الحقيقة قد أقام الدليل العقلي والسمعي على إرادة الحقيقة، أما السمي فلا يمكنك المكابرة أنه معه، وأما العقلي فمن وجهين عام وخاص، فالعام الدليل الدال على كمال علم المتكلم وكمال بيانه وكمال نصحه، والخاص فهو أن كل صيغة وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله -صلى الله عليه وسلم- فهي صفة كمال قطعاً فلا يجوز تعطيل صفات كماله وتأويلها بما يبطل حقائقها .. " ⁷.

وقد تُحسم العلاقة بين اللفظ والمعنى، ولكن صحة الدلالة مع ذلك تتوقف على عنصر دلالي مضمّر، فنكون هنا بإزاء دلالة اقتضاء، كما قد تحفّ باللفظ دلالة غير التي ينطوي عليها، ومن غير أن يكون قصد إليها فتكون دلالة إشارة.

-**دلالة المفهوم:** وهي ما يدل عليه اللفظ ليس من خلال دالّه، وإنما من خلال السياق الذي يرد فيه، فيفهم منه ما يربو عن دلالاته الذاتية، وهو قسمان:

مفهوم موافقة: أي معنى يوافق حكمه حكم المنطوق، فإن كان أولى منه سمي فحوى الخطاب، وإن كان مساوياً له سمي لحن الخطاب.

مفهوم مخالفة: وهو معنى يخالف حكمه حكم المنطوق، وهو أربعة أقسام مفهوم صفة وشرط وغاية وحصر.

والاختلاف الذي يوهم التناقض قد يكون في جزء منه نابعا من إغفال هذا الاختلاف بين أجزاء النص وما ينتجه من طبقات للمعنى تقضي الواحدة منها إلى الأخرى، ووهم التناقض سرعان ما ينجلي بآلية الإحالة الداخلية، وفق مقاييس دلالة النص أو دلالة الظاهر أو دلالة الاحتمال والقرينة.

الحجة بين دلالة العموم ودلالة الخصوص:

يدرك الدارسون خطورة العلاقة الثنائية بين الحجة وسياقها النصي، حيث إن الحدود والأحكام تضيع في خضم ذوبان النص في بحر التأويل والحقيقة الباطنية، ومن ثم كان لابد من ضبط التأويل بآليات النص ذاته، ومنها آلية العموم والخصوص أو الإطلاق والتقييد التي تسهم في البناء النصي من جهة، وتؤسس للإحالة الدلالية داخل النص من جهة ثانية.

وقد جعل الدارسون هذه السمة من وجوه إعجاز الخطاب القرآني، وقسموا الخطاب القرآني من منظور:

أ- العموم إلى:

- باقي على عمومه وهو عزيز
- عام يراد به الخصوص
- والعام المخصوص

مما يشير إلى حركية النص القرآني الذي جاء ليعمل به وينفذ، فأشار إلى ندرة عمومه، والعموم لا إلزام فيه، والتخصيص فيه مباشرة وفيه تعيين، مما يشحنه بقيمة حاجية أهد ما لو كان على عمومه.

ب- الخصوص:

فهو إما متصل بالعام: وهو خمسة أضرب: - الاستثناء، الوصف، الشرط، الغاية، بدل البعض من كل.

أو منفصل عنه: آية أخرى في محل آخر، أو حديث أو إجماع أو قياس⁸.

دلالة الحجة بين المحكم والمتشابه:

المحكم والمتشابه في الخطاب القرآني محك للاختبار والتسليم، ومن خلال تصنيف نص الحجة إلى ما هو محكم في دلالاته وهو الغالب، وإلى ما هو متشابه في دلالاته، تتأكد سلطة صاحب الحجة في ترتيب الخطاب، حيث تبرز خصوصية هذا الخطاب باعتماد الإشكال المقصود والغموض المتعمد، حتى لا تبقى لمتلقي الحجة حيلة إلا التسليم بالقدرة المعجزة التي صدر عنها، فهو الذي يجليها بمشيتته ويمسك بتلابيب دلالاتها إذا شاء. ومن هنا تأكيدنا في المدخل، على كون الخطاب القرآني يفرض منهج تلقيه وهذه إحدى مسوغاته، فمن من منظور صاحب الحجة يقول عبد الجبار الأسد أبادي " المحكم إنما وصف بذلك لأن محكماً أحكمه.. المراد بذلك أنه أحكم المراد به بأن جعله على صفة مخصوصة لكونه عليها له تأثير في المراد، وقد علمنا أن الصفة التي تؤثر في المراد هي أن توقعه على وجه لا يحتمل إلا ذلك المراد في أصل اللغة أو بالتعارف أو بشواهد العقل .. فأما المتشابه فهو الذي جعله عز وجل على صفة تشبهه على السامع .. نحو قوله تعالى " إن الذين يؤذون الله" .. فالمراد به مشتبه ويحتاج في معرفته إلى الرجوع إلى غيره من المحكمات"⁹.

ويتضح أن مستوى الخطاب المُشكّل لا يفقد وظيفته الدلالية والحجاجية، فبمجرد الإحالة على قسيمه الدلالي وهو المحكم، يتم إيضاحه بما يعيد له نفعيته، فالخطاب من هذه الناحية يخدم بعضه بعضاً ليخدم في النهاية الوظيفة الحجاجية التي ينطوي عليها الخطاب الصادر عن متكلم حكيم.

دلالة الحجة بين الناسخ والمنسوخ:

ومن جهة تعالق بناء النص بنائها نهائياً والمنظور الحجاجي الذي يتحرك في اتجاهه، كان النسخ من أهم إجراءات تجسيد هذا التعالق، ويتعلق النسخ بالأمر والنهي ولو بلفظ الخبر أي ما هو حجاجي ضمناً، وأدواته هي الإزالة والتبديل والتحويل

والنقل من موضع إلى موضع. ومعنى ذلك، أن أهم أدوات حيوية النص تحدث في مستوى التداول، مما يبرز حركية تشكيله وفعالية خطابه وجوهريّة حضور دائرة الاتصال فيه، ومركزية الحجة-الرسالة في هذه الدائرة، وقد قسمه السيوطي إلى:

- نسخ المأمور به قبل امتثاله (و هو النسخ على الحقيقة)

- ما نسخ مما كان شرع من قبلنا.

- ما أمر به لسبب ثم زال السبب و هو في الحقيقة من المنسأ (المؤجل).

ومن جهة استقرار المنسوخ في النص فهناك ثلاثة أضرب:

- ما نسخ تلاوة وحكما: قال الأشعري: المنسوخ غير متلو، والناسخ غير متلو، ولا أعلم له نظيرا في القرآن.

- ما نسخ حكمه دون تلاوته وهو قليل جدا: خلطوا بين التخصيص والنسخ.

- ما نسخت تلاوته دون حكمه، و"ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استئصالٍ لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأيسر شيء" ¹⁰.



2- المنظور البلاغي:

الحجة وطاقة الإيحاء والتصريح:

هنا نجد استثمارا لطاقت اللغة على الدلالة بطرق متنوعة، فتكون دلالة الإيحاء أحيانا أبلغ من دلالة التعيين والتصريح. ولذلك قيل إن العرب تكّني أكثر مما تصرح، لما فيه من تقوية للحجة وتحقيق أغراضها. وتتخرط جملة الإجراءات البلاغية في المستوى الدلالي، لتحقيق الإقناع وتعضد الحجة الدينية. وقد اعتبر مثل هذا العدول والتصرف في القول وجها إعجازيا، لأنه يوسع إمكانات الخطاب وأنماطه وهو يتجه إلى المكلفين:

منها تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجه الآتية: الإتيان بصريح مادة الأمر " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها " ¹¹، والإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين "كتب عليكم الصيام" ¹²، ونظّم الأمر في سلك ما هو بالغ الإثم والحرمة، والإخبار عن الفعل بأنه رجس، ووصفه بأنه من عمل الشيطان، والأمر باجتنابه، ورجاء الفلاح في تركه، وترتيب مضار مؤذية على فعله، والأمر بالانتهاء عنه في صورة الاستفهام "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن الصلاة فهل أنتم منتهون" ¹³، ومنها تعبيره عن إباحة الفعل بالتصريح بمادة الحل "أحلّت لكم بهيمة الأنعام" ¹⁴، أو بإضافة قرائن مثل الأمر بالفعل مع قرينة صارفة عن الطلب "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" ¹⁵، أو نفي الإثم عن الفعل "فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه" ¹⁶.

فالخطاب القرآني ينوع أساليب التأثير باستغلال مخزون اللغة، من إنشاء وإخبار وإظهار وإضمار وتكلم وغيبية وخطاب ومضي وحضور واستقبال واسمية

وفعلية واستفهام وامتنان ووصف ووعد ووعد¹⁷. وهي الصور التي جعلت الخطاب القرآني يحقق غاياته العقديّة والسلوكية بأعلى درجات الاستجابة، مع التسليم والرضى الكاملين. وهو ما ربطه الدارسون القدامى بأثره في النفوس، والتي تتحقق لغويا وتداوليا بهذه الصور المتنوعة في الدخول إلى مكنون النفوس وتحفيز أدق عواطفها وإثارة دواعي الطاعة والامتثال فيها.

إنّ العدول التداولي عن المعاني المقررة بمثل الصور المذكورة، يحقق مقاصده الحجاجية الإقناعية من خلال المعاني التي ينطوي عليها الخطاب، ويتلقاها مجموع المخاطبين بالاستجابة والتقبل، بالنظر إلى التعود تداوليا على مثل هذه الإجراءات في تمرير القضايا وعرض الآراء.

والمجاز من أكثر صور الاستثمار الدلالي لطاقة الإيحاء، يقول الجاحظ معلقا على قوله تعالى: "إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنّما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا"¹⁸: ويعد هذا من باب المجاز والتشبيه على شاكلة قوله تعالى: "أكلون للسّحت"¹⁹، وعنده أن هذا قد يقال لهم وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل، وتمام الآية "إنّما يأكلون في بطونهم نارا" مجاز آخر فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز²⁰.

فاللغة تقوم على التلميح أكثر مما تقوم على التصريح، ولذلك كانت الألفاظ محدودة بالنسبة إلى لا محدودية المعاني. ومن هذا المنطلق يحتاج الطاعنين في لغة القرآن بأن يأتيه بلغة تقوم على التصريح فقط، فكل لغة تقوم على الإيحاء بما يؤدي إلى التعدد التأويلي²¹.

ويضع الجاحظ لعملية التأويل هذه معيارا صارما هو الإبانة والإفهام الذي هو أساس اللغة ووظيفتها "ومدح (الله) القرآن.. بجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ"²².

لكن الجاحظ، المسكون بالمقام الخطابي والتواصل النفعي، لا يترك حبل المجاز على غاربه، بل يرى استعمال العرب هو المعيار، لأن الغموض والإغراب ليسا مقصودين لذاتهما، لكن المقصود هو حسن إفهام المعاني وبلوغ أغراضها للسامعين، فلا يخرج التجوز عن إطار المتعارف عليه في تعبيرات العرب بل "تقدم على ما أقدموا ونحجم عما أحجموا وننتهي إلى حيث انتهوا"²³.

وبينما ينشغل الجاحظ بالمقام الخطابي والنفعي، ينشغل عبد القاهر بمظنة الإعجاز ومكمنه. فيبدأ التأسيس على اعتبار الدلالة عقلية ولغوية، والمجاز يقع فيهما. فاللغوي منه يقع في اللفظ، والعقلي يقع في الإسناد والتأليف. وبناء عليه، يكون الإبداع والإعجاز الذي هو الذروة منه متموضعا في التأليف وليس في اللفظ، لأنه المستوى الذي يظهر فيه التصرف والأريحية، ولا تظهر أبدا فيما هو مشترك²⁴. وبهذا ينخرط المجاز كتصرف دلالي في النظم، باعتباره علاقة إسنادية شاملة، أما مجاز اللفظ أو ما هو في المثبت فهو حقيقة عرفية مشتركة.

وحجاجية المجاز تتأسس على كونه منزها عن الكذب، وفق مقياس استعمال العرب للمجازات عند ابن قتيبة والتواطؤ على الكذب محال، ومنزه وفق مقياس عقلي عند الجرجاني لأن المجاز عنده ليس فيه نقل لفظ عن أصل وضعه إلى غير ما وضع له، ولكنه إثبات وتوكيد وادعاء. ولذلك فالمجاز مسبوق بالحقيقة، والعلاقة بين أطرافه مرعية، وإذا فقدت لم يكن هناك مجاز أصلا²⁵. فقيمته الحجاجية تكمن في مقولة الادعاء التي يتضمنها، فهو "لم يكن مجازا لأنه إثبات الحكم لغير مستحقه بل لأنه أُثبت لما لا يستحق، تشبيها وردا له إلى ما يستحق، وأنه ينظر من هذا إلى ذاك، وإثباته ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق يتضمن الإثبات للأصل الذي هو المستحق، فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل حتى يبدأ

بالأصل في إثبات ذلك الوصف والحكم له"²⁶. وهذا تيرير واضح لعلاقة الأسلوب بالحجاج الخطابي، الذي يستعمل كل الصور الأسلوبية لأداء وظيفة الإقناع والتأثير، لأن المجاز قياس للغامض الخفي على الواضح الجلي، أي جزء من منظومة اللغة الدالّة.

ومقياس النص المعجز يظهر في استخدام المتلقي أقصى طاقات التفكير والروية لإدراك مزية النص، ولذة التلقي متعلقة بأساليب الإقناع الكامنة في العلائق النحوية. ومع ذلك، فإن المطلوب في الأسلوب الحجاجي، أن يراعي القدرة على التأويل، ومبدأ المقدار ووضع القرائن. فإدراك الصورة المجازية مشروط بمراعاة القرب والفائدة عند تشكيلها، مما ينزه المجاز عن أن يكون تصنعاً أو تعقيداً لا طائل من ورائه²⁷.

دلالة الحجة بين الظاهر والمُضْمَن:

قد يوهم الظاهر بمدلول تحمل عليه الحجة، ويكون القصد غير ذلك، وقد تكون الحجة دالة بظاهرها، وبما يحفها من سياقات نصية مجاورة أو منفصلة. كل ذلك تناوله الدرس الإعجازي وهو يلتقط صوراً متعددة للتصرف في دلالة حججه. أورد ابن قتيبة إحداهما تحت عنوان مخالفة ظاهر اللفظ معناه²⁸، وتتناول على الخصوص أفعال اللغة الاستفهامية والطلبية، وهما حين يردان من جهة صاحب الحجة، فغالبا ما تصرف دلالتهما المباشرة إلى دلالة حافة تحقق التلاؤم السياقي أو الانسجام مع الخلفية المذهبية.

ففي قوله تعالى "قتل الخراصون"²⁹ دعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع. فالأسلوب التقريري يتحمل ضمنا دلالة الدعاء على جهة الذم، وهو تأويل بما يصعد كفاءة الإنجاز في الفعل "قتل". وفي الاستفهام في الآية: "أأنت قلت للناس اتخذوني

وأُمي إلهين من دون الله .." ³⁰ ، صورة حجاجية للتقرير عُذِلَ عن إخباريتها لتصعيد تداوليتها في اتجاه وحيد من المخاطِبِ إلى المخاطَبِ. وتأتي الآية: "عم يتساءلون عن النبأ العظيم" ³¹ على المذهب ذاته، وهي صورة حجاجية للتعجب جاءت على أسلوب الاستفهام.

أما صورة الطلب في قوله تعالى: "اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير" ³² فإنها تتجه لتحقيق التهديد. وفي قوله تعالى: "واهجروهن في المضاجع واضربوهن" ³³ قصده الحجاجي تحقيق التهذيب. وأما في قوله تعالى "فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا" ³⁴ فإن القصد يتجه لتحقيق حكم الإباحة ³⁵.

كما تضمّن الدرس الإعجازي صورة تستجيب بفعالية لآفاق الحجاج، تتمثل في تضمين أساليب المعاني حمولات إضافية تحقق المقاصد بنجاعة أشد من سبلها التعيينية، تبعا لطبيعة السياق التداولي الذي ترد فيه. وهو عدول يساهم في تحقيق الأثر الإقناعي بالنظر إلى الأثر النفسي للانزياح الأسلوبي في مستوى دلالة الخبر والإنشاء.

فمعاني الخبر يقصد بها إفادة المخاطب، ولكنه قد يُشْرَبُ مع ذلك معاني أُخْرَ، منها التعجب: وهو غرض تداولي يتولد عن عدول دلالي في أسلوب الخبر، ومنها الأمر: فقد يتحقق الإقناع والتأثير بما يتحملة الخبر من قيمة طلبية تأتي في يسر وسهولة لا في قهر ومباشرة، يقول تعالى: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة أشهر.." ³⁶ فالسياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك ولا يخبر به و إلا أمكن أن يقع الإخلاف بما ورد فيه. ومنه النهي: ففي قوله تعالى: "لا يمسه إلا المطهرون" ³⁷، لا يمكن أن يفهم الخبر إلا بأنه متضمن لمعنى النهي عن إتيان هذا الفعل، وفي ذلك ما فيه من الحض والترغيب الزائد على معنى النهي. وهي كلها طبقات للمعنى يقع

بعضها فوق بعض، تجد فرصتها في مثل هذا العدول، لتذهب معها العقول كل مذهب، تأويلا وتدبرا وتأملا وإعجابا. وهذا هو لبّ العملية الإقناعية في الخطاب القرآني. ومنه الوعيد: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"³⁸، وهنا لا يمكن أن يفهم من أسلوب الخبر مجرد الإخبار، بل هو أدلّ على الوعيد منه على الخبر، واقتران هذا الأسلوب بهذه الحمولة أوقع أثرا من عبارات الوعيد المتداولة. فقيمتها الإقناعية أرسخ وأؤكد. وقد جاءت بأسلوب الخبر، فكأنه اليقين الذي لا يكون خلافه.

أما الاستفهام، فينبوي في استعمالاته على صور عديدة للعدول الدلالي يتطلبها المقام الحجاجي. وبإمكانه أن يحقق الأغراض المطلوبة منه كما تحققها الأساليب المعتادة. ولكنه بصور العدول تتحقق هذه الأغراض مع طاقة تأثيرية هائلة، بالنظر إلى تحقق المعنى بغير المنتظر أن يتحقق به، وهو ما يسمى الآن إخلاف التوقع، ووقع المفاجأة عند مدرسة التلقي الألمانية، وصور هذا العدول المؤثر متعددة في الخطاب القرآني، فمنه: "فهل يهلك إلا القوم الفاسقون"³⁹، والمعنى أنه لا يهلك إلا القوم الفاسقون، فالأسلوب استفهامي ولكن المعنى المحمول هو نفي وإنكار. فهذا الأسلوب ينفي ولكن في صيغة تريد تحقيق المعنى مع تحقيق الاستمالة والموافقة والتسليم للخطاب. " أنزل عليه الذكر من بيننا"⁴⁰: أي أن الذكر لم ينزل عليه، فالمعنى المضمّن هو الإثبات، مع ظلال الحشد العاطفي والتضامن بين المستفهمين في الإقرار به والإعلان عنه في جراءة⁴¹.

فهذه الصور التي عدلت عن الاستفهام الجاري، ضمّنته أغراضا متنوعة حسب المقامات الحجاجية. وكان لها من النجاعة ما لا يتحقق بالأسلوب القاعدي المألوف. والمقياس العام لتحقيق الأثر الإنجازي لهذه الأساليب هو فهم المتلقي لما

هو مطلوب منه، ففهم العربي لصور العدول عما هو إخباري إلى ما هو مطلب، شرط في تحقيق عملية التأثير والاستجابة.

وحمل هذه الصور على بعدها الحجاجي الضمني، يعطي النص القرآني بعده الحي المنفتح دوماً على سياقات التلقي. وهذا وجه من خلود إعجازه وأبدية أثره في النفوس، مما يجعل المقاربة الحجاجية أنسب الدراسات لطبيعته وبنيته.

كما يتم تجاوز السطح والظاهر من الحجة من خلال التعريض، وهو أسلوب حجاجي يؤثر في المتلقي من خلال التلطف في كشف الغرض، فيتم التلميح إليه بدل التصريح به، ففي قوله تعالى "وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"⁴² يقول الزركشي: "وهذا من الكلام المنصف الذي كان من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ، دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقل شوكته بالهوينى"⁴³.

-التحكم في العلاقات النظامية:

ويعكس هذا المستوى تحكم صاحب الحجة في منظومة الحجج وعلاقاتها بعضها ببعض. فالخطاب القرآني، من هذه الزاوية، حجة كلية أو منظومة حجاجية مترابطة، لا يمكن لمتلقي الحجة التفاعل معها إلا بحمل بعضها على بعض، أو ملاحظة الترابط النصي بينها. وهو منظور ترتيبى في تشكيل الخطاب وربط حججه، سبق أن رأينا إلحاح أرسطو عليها في الخطابة، ومن أجل إجراءاته في الخطاب القرآني صورة:

الالتفات: وهو تحويل لجهة الضمائر من دلالتها المألوفة إلى ما يحقق قصد المتكلم تعميماً أو تخصيصاً. إذ يحدث الالتفات توتراً في علاقة الحجة بالمحجوج، وهو ملمح أسلوبى يندرج ضمن المبحث الأصولي عن العام والخاص.

وقد رصد ابن قتيبة هذه الصور في معرض تنزيه القرآن الكريم عن التناقض، موظفاً السياق النصي والخلفية العقديّة لإيجاد الملاءمة والانسجام. فالمخاطب العام في قوله تعالى "في أي صورة ما شاء ركبك"⁴⁴، لم يُردْ به إنساناً بعينه، وإنما خوطب به جميع الناس⁴⁵. وفي قوله تعالى "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك"⁴⁶، "فإن المخاطبة للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمراد غيره من الشكاك"⁴⁷. ومقياس هذا الانزياح هو استعمال العرب، فهم "قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره"⁴⁸، والمقياس الآخر هو حال المخاطبين، فقد كان منهم الكافر والمصدق والشاك في الأمر، فخاطب الله تعالى هذا الصنف⁴⁹.

الحذف:

كما يتوسل الحجاج بالحذف والاختصار في الجواب إذا علمه المخاطب، أو دل عليه السياق، ومنه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما جاء في الآية: "واسأل القرية التي كنا فيها"⁵⁰، وهو تصعيد في مدلول الحجة بالحذف يحقق الانتشار والشمول، كما يحذف الجواب من الكلام وهو مبني عليه، لكنه مشروطاً بعلم المخاطب، وذلك لتصعيد فعالية الحجاج.

وأهمية السياق في آلية الحذف والاختصار جوهريّة، لأنه يضمن اكتمال دلالة الحجة، ففي قوله تعالى: "إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم"⁵¹، يرى ابن قتيبة أن الاستثناء "لم يقع من المرسلين وإنما وقع من معنى مضمّر في الكلام، كأنه قال: لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخائف،

إلا من ظلم ثم تاب فإنه لا يخاف، وهذا قول الفراء وهو يبعد، لأن العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر، وليس في ظاهر هذا الكلام -على هذا التأويل - دليل على باطنه، والذي عندي فيه - والله أعلم- أن موسى - عليه السلام - لما خاف الثعبان وولى ولم يعقب قال الله تعالى: "يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون" وعلم أن موسى مستشعر خيفة أخرى من ذنبه في الرجل فوكزه موسى فقضى عليه، فقال "إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء" أي توبة وندما فإنه يخاف، و إني غفور رحيم"⁵²، فقد جعل ابن قتيبة السياق مقياسا لإعطاء فعل اللغة "لا تخف" مداه الدلالي، وهو سياق خارجي تتبع أحداثا عاشها النبي موسى عليه السلام. وأسلوب الحذف فعل الحجاج ونشطه، واختزل في مقابل ذلك تفاصيل التاريخ ولم يسردها، قال ابن قتيبة: "ومن تتبع هذا في كلام العرب وأشعارها وجده كثيرا"⁵³، فأضاف مقياس الاستعمال عند العرب توكيدا واستثناسا.

التكرار:

وحجاج التكرار يتمثل في توكيد الحمولة الدلالية لمضاعفة طاقة إقناعها، كما أنه وسيلة تنبيهية تسهل تلقي خطاب الحجاج وفهمه من متلقيه. وتقرأ صور التكرار بما يلائم سياقاتها أو بما ينسجم مع الدلالة العامة للنص القرآني، لكونها وسائل تمتص بها لغة النص لغة التخاطب العادية لتشحنها بالفعالية الحجاجية بما يحقق مراد المخاطب من مخاطبيه.

فالتكرار في الآية "فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر"⁵⁴: "فأثرت أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاضا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم اللهو ولا تستولي عليهم الغفلة"⁵⁵، فالاعتبار

في هذه الوسائل هو للمقاصد والأغراض وسياقات استخدامها⁵⁶. ففي تناوله للمطاعن التي صوبت نحو ورود التكرار، حرص ابن قتيبة على ربطها بسياقاتها التي تبررها، وهي سياقات حجاجية أساسا، فمنها تسلية المخاطب الأول وهو الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ومنها أنها جاءت من "طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات"⁵⁷، أما عن تكرار القصص فقال: "ولما اختلفت الفائدة خرج عن أن يكون تكرارا"⁵⁸، وهو تبرير حجاجي واضح تتقاطع فيه الوسيلة الأسلوبية مع فائدتها التأثيرية.

كما تؤدي صور التكرار أغراضا مختلفة، تعليمية ووعظية وتذكيرية، فتكرار قوله تعالى: "فبأي آلاء ربكما تكذبان"⁵⁹، صورة التداول فيها استفهامية يضاف إليها تصعيد آخر تكراري، فقد "عدّد الله تعالى في هذه الصورة نعماءه وذكر عباده آلاءه، ونبّههم على قدرته و لطفه بخلقه، ثم أتبع ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، ليفهمهم النعم ويقرّروهم بها"⁶⁰. فألية التكرار تحقق وظيفتين: الإفهام والإقرار. وكذلك في سورة الكافرون، أين يكرر لفظ العبادة، قال ابن قتيبة: "لا أرادوه على أن يعبد ما يعبدون ليعبدوا ما يعبد، وأبدأوا في ذلك وأعادوا، فأراد الله عز وجل حسم أطماعهم وإكذاب ظنونهم فأبدأ وأعاد الجواب"⁶¹.

ف"رعاية نشاط السامعين" هو ما يستهدفه التكرار الحجاجي على اعتبار استمرار قناة التواصل ضرورية للتلقي الفعال، إضافة إلى تأكيد المعنى الذي كرر به اللفظ⁶²، والتأكيد قصد حجاجي واضح.

التقديم والتأخير:

يستخدم التقديم و التأخير ليحقق انزياحا ذا بعد حجاجي. وقد اعتنى به الفخر الرازي وأبرز أغراضه الحجاجية المرتبطة بالسياق مثل: الاهتمام والبيان والعناية⁶³. كما تتحقق معاني حجاجية مختلفة إذا كان التقديم والتأخير في النفي⁶⁴. وفي الخبر المثبت يكون الغرض هو التخصيص لإثبات ذلك الفعل للمخاطب، والمقياس الذي يبرر اللجوء إليه هو العادة في استخدامه وعدم الشك من قبل متلقيه⁶⁵.

وفي الكشّاف، يحلل الزمخشري بعض صور التقديم والتأخير منظورا فيها إلى صاحب الحجة، فيبرر الأساليب بتنوع المقاصد الحجاجية، ففي الآية "وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله"⁶⁶، يقول: " فإن قلت أي فرق بين وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم، وبين النظام الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها، ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسما لـ"أن" وإسناد الجملة إليه، دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في مُعَارَاتهم، وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم"⁶⁷.

ويحرّك السيوطي مفهوم السياق ليبرر الترتيب النظمي لبعض آيات النص القرآني، بما ينسج صورا حجاجية شديدة الفعالية والتناسب مع المقام. يقول معلقا على قوله تعالى من سورة البقرة: "وما أهل به لغير الله"⁶⁸ فقد قدم ضمير المجرور في البقرة وأخره في المائدة والأنعام والنحل، لأن تقديم الباء الأصل بأنه يجري مجرى الألف والتشديد في التعدي، فكان كحرف من الفعل، وكان الموضع الأول أولى بما هو الأصل، ليعلم ما يقتضيه اللفظ، وأما ما عدا هذه السورة فأخر به، لأنه قدّم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله، وتقدم ما هو بالغرض أولى، و لهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل والحال على ذي الحال، والظرف على العامل فيه، إذا كان أكثر الغرض

في الإخبار، وزاد في هذه السورة: "فلا إثم عليه" وفي السور الثلاث تضمينا لأن قوله: "غفور رحيم" يدل على أنه لا إثم عليه، وإنما ختم في الأنعام بذكر الربّ لأنه تكرر فيها مرات فكان لفظ الرب أليق بها"⁶⁹، فالمُضمّن هو سياق الحجاج الذي انعكس في النص صورا نظمية بالتقديم والتأخير والحذف والتضمين لتكون النجاعة في أعلى درجات التحقق.

وفي قوله تعالى "تلك حدود الله فلا تقربوها"⁷⁰، وقال بعد ذلك "فلا تعتدوها"، أعطى السيوطي الملاءمة الحجاجية التي سيق لأجلها فعل النهي "فلا تعتدوها"⁷¹، لأن الأولى وردت بعد نواه، فناسب النهي عن قربانها، والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها"⁷².

***قطب الحجة-متلقي الحجة:**

هنا يكون المتلقي مهيمنا على الحجة، باعتباره شرطا في تأويلها وتحديد قيمتها الحجاجية. ويمكن أن نسلك هنا كل الإجراءات الأسلوبية التي ترتن بالمتلقي وكفأته التأويلية وسياقاته المعرفية. وليس هذا بالغريب عن الاستعمال العربي "فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح أو حالة أو تحضيض أو صلح أو ما أشبه ذلك لم يأت به من واد واحد بل يفتن، فيختصر تارة إرادة التخفيف ويطيل تارة إرادة الإفهام ويكرر تارة إرادة التوكيد ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين ويشير إلى الشيء ويكني عن الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وقدّر الحفل وكثرة الحشد وجلالة المقام"⁷³.

العلاقة الحالية:

وتتمثل في حالة متلقي الحجة أو المحجوج وأفاق تلقيه ومقاصده ونيته ومواقفه من نص الحجة كله، وهنا نميز في سياق حجاجي بين المتلقي الضمني والمتلقي الحقيقي الفعلي. فالأول متضمن في الخطاب، وله كفاءة تلق مثالية، أما الفعلي فكفاءته متفاوتة تتحكم فيها العناصر السابقة، وفي الحجاج القرآني، يتوجه الخطاب إلى المتلقي الضمني، ولكن التاريخ حفظ الكثير من مناسبات النزول التي ربطت بين تلقي الحجة والمتلقي الحقيقي. وقد أشار ابن قتيبة في صدد المناقحة عن القرآن الكريم إلى بعض مواصفات المتلقي المثالي الذي يستطيع معرفة "فضل القرآن" وهي "كثرة النظر" و"اتباع العلم" و"فهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات"⁷⁴.

أما المتلقي الحقيقي فيدخل في شروط فهمه للحجة سياقاته الحالية والمقامية، ومراعاة لذلك تنوعت الحجج وأساليبها وظروف نزولها، فالعلاقة الحالية بين متلقي الحجة والحجة قد تتمثل في:

*مطلق سلبي = يواجه الحجة بالعناد والخصومة فتكون أساليب التعامل الحجاجي معه خاضعة لقصد الإفحام.

*أو مطلق حيادي = يواجه الحجة باللامبالاة والغفلة وتكون وسائل الحجاج معه خاضعة لمقصد التنبيه والترغيب والترهيب.

*أو مطلق إيجابي = يواجه الحجة بالاحتفال والاحتراف ومحاولة التوافق ووسائل الحجة معه ذات مقصد تكريمي.

وبأخذ هذه المعطيات في الاعتبار فإن المعادلة الحجاجية الأصلية:

القصد - الحجة - المحجوج - القصد

تتعدّل لتتنشيط سياقات المتلقي ومقاصده وأفق تلقيه مما يؤدي إلى تعديل

الدائرة السابقة إلى:

الحجة + القصد (الشرعي هنا) + المتلقي (مقصد/سياق)

والمقصود أن الحجة مفتوحة على فهم المتلقي الذي يستخدم بقوة أفقه الذاتي،
متمثلاً في معارفه وأحواله العقدية في التعامل مع الحجة، ويظل القصد الشرعي قائماً
بطبيعة الحال، ولكنه يسمح بهامش للتحرك التأويلي. فهناك نوع من التوافق بين
المقصدية النصي والقرائي، ولهذا نص الدارسون على تنوع مستويات الخطاب
القرآني، باعتباره تنوعاً للحجج بما يحقق فعالية أكبر وتأثيراً أقوى ومرونة مع الواقع
الذي تتحرك فيه:

أصناف الخطابات:

فنظراً إلى أصناف المتلقين، يتم تصنيف الخطابات الواردة في الخطاب
القرآني وتحدد التزاماتهم بناء على امتلاكهم مفاتيح التعامل معها، فقد أورد الزركشي
التصنيف التالي للخطاب⁷⁵:

قسم تعرفه العرب في كلامها: أي ما يرجع إلى لسانها، فهذا القسم من الخطاب
مرتبط بشفرة اللغة، مما يجعل الإحاطة بالرصيد اللغوي والأساليب المطلوبة، ودائرة
هؤلاء ضيقة.

قسم لا يعذر أحد بجهله من الحلال والحرام، وهو قسم لا يلتبس، ولا تأويل فيه، وهو
ما تتعدّم أو تكاد عمليات التفسير المختلفة مما يجعل النص في درجة صفر من
ناحية الإشكال واللبس، لأنه لا تكليف إلا بالظاهر الصريح، ولذلك قيل لا يعذر أحد
بجهل القانون، اعتباراً للشيوخ والبساطة.

قسم يعلمه العلماء خاصة: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء ويغلب عليه مصطلح التأويل أي صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسر ناقل والمؤول مستتب، وهنا يلتبس الخطاب بجملة من الإجراءات الأسلوبية التي تشفر النص ابتلاء وامتحاناً، وليحتاج الناس في دفع كلفة الجهل إلى السعي والجهد، وهنا الدائرة ضيقة جداً.

قسم لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه فهو كاذب كالغيبيات، وفرق بين ما يلزم القارئ وما يلزم المفسر في كل قسم من الأقسام، وهنا قسم يهيمن عليه صاحب الخطاب فلا يعلم غيبه إلا هو وهو نوع ابتلاء بالتسليم وإظهار العجز لخصوصية المتكلم سبحانه.

التقبل النفسي:

ويدخل ضمن رعاية حال المحجوج استعداده النفسي، ف "إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه"⁷⁶.

لهذا يحرص الخطاب القرآني على التنويع والتبديل في أساليبه ويشغلها وفق منظور حجاجي يعتصر الفائدة ويحرص على بلوغها، يقول الجاحظ " ورأيت الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام"⁷⁷، وما توسع العرب في الكلام إلا بناء على " ثقة بفهم أصحابهم عنهم"⁷⁸.

ورعاية جانب المتلقي من أهم ما أضافه الرماني للدراسات القرآنية، وهو ما يميز النص القرآني في جانبه التأثيري مما جعله -أي الرماني- حريصاً على ربط آلية التلاوم بوظيفتها الاتصالية "والفائدة في التلاوم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة،

ومثل ذلك قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحرف وقراءته في أقبح ما يكون من الخط والحرف فذلك متفاوت في الصورة وإن كانت المعاني واحدة"⁷⁹.

تقدير السؤال:

ليس هذا المبحث إلا دلالة على عمق فهم البعد الحجاجي في الخطاب القرآني، إذ ينطوي على تقدير سياق المحاوره ودوران السؤال والجواب بين أطرافها، بل إن الكثير من صور التكرار التي ظنت مطعنا في الخطاب القرآني ليس هذا المبحث إلا الإجابة المقتدرة على دفعها، ومنه يمكن القول إن استبعاد البعد الحجاجي والحواري سيجعل الكثير من الأساليب الواردة غير ملائمة، فأى إطار يمكن أن يستوعب هذه المباحث المشتتة إن لم يكن الحجاج في مفهومه الخطابى الواسع؟ فقد تناول ابن قتيبة على سبيل المثال الكثير من الأساليب المنطوية على التساؤل و ردّ ما فيها من دعوى التناقض والاختلاف، باعتبار اختلاف الإجابات عنها⁸⁰. والآيات التي وردت أخبارا عن خلق السماوات والأرض وتكرارها في صيغ مختلفة تدخل في سياق هذه الإجابات، والتأويل الزمني الذي ساقه ابن قتيبة ينبئ عن هذا الغرض الحجاجي باعتبار الآيات جوابا عن تساؤل ضمنى⁸¹. كما وردت الآيات التي تكشف بعدها الحجاجي من خلال الأسلوب المباشر بالفعل "قالوا" ليؤدي إلى فهم نزول الآيات جوابا عن أقوالهم بالسؤال أو الدعوى⁸².

العلاقة المقامية: هنا تكون الحجة مشروطة بقصد المتلقي وبالظرف المقامي الخارجي الذي يعيش فيه، فالبيئات التي يوجد فيها المتلقي مختلفة، فمنها:

- بيئة الإيمان
 - بيئة الشرك
 - بيئة النفاق
-
-

• بيئة كتابية

والبيئة تؤثر على علاقة المتلقي أو المتلقين بالحجة، والحجة تأتي وفق حاجة هذه البيئات، ولأمر ما قال الجاحظ "مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"⁸³.

مناسبة الحال والمقام:

فشرط التلقي الفعال يفترض الاختيار المناسب فلا شيء منه "يحسن استعماله مطلقا ولا شيء منها بالذي يسوء استعماله مطلقا أي في كافة الأحوال وجميع المقامات بل لكل مقام مقال"⁸⁴.

وهذا يعني أن الأسلوب محكوم بمقام التلقي، ومقاييسه مستنبطة على ضوء هذا البعد الحجاجي، فلولا رعاية المتلقي "لكان الوصول إلى الطرف الأعلى من البلاغة هينا، ولأصبح كلام الناس لونا واحدا وطعما واحدا، ولكن الأمر يرجع إلى حسن الاختيار من هذه المتنوعات بحسب ما يناسب الأحوال والمقامات"⁸⁵. وعلى أساس التلقي تنتوع الخطابات "فخطاب الأذكياء غير خطاب الأغبياء وموضوع العقائد التي يتحمس لها الناس غير موضوع القصص وميدان الجدل الصاخب غير مجلس التعليم الهادئ ولغة الوعد والتبشير غير لغة الوعيد والإنذار"⁸⁶. وهنا تكون الحجة معجزة وهي تتجح في ملامسة كل العقول على تنوعها وكل القلوب على اختلافها، وليس ذلك إلا لأن صاحب الحجة قد أحاط بمقامات المتلقين وأحوالهم بل بخفايا صدورهم ونزعاتها.

الوعد والوعيد:

صورة الوعد والوعيد التي تعقب آيات الأحكام تلون أيضا المضمون الحجاجي لهذه الآيات فإذ جرت عادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاما، ذكر بعدها وعدا ووعيدا

لتكون باعثًا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد و تنزيه ليعلم عظم الأمر
الناهي ..⁸⁷.

فهي وسيلة تصعد الحجاج من خلال الترغيب والترهيب وتبرز مقام جهة
المخاطب التي تبعث المتلقي على تغيير علاقته بالحجة من حال الاستماع إلى حال
التنفيذ والالتزام والإنجاز.

وبعد،

كان المشروع هو استدراك المبحث الغائب في الدراسات الإعجازية ألا وهو
حجاج الخطاب ومنطقه، غياب لم يكن إلا تحت وطأة التقسيم الأرسطي لجدل عقيم
ليس كفؤًا للبحث عن الحقائق وخطابة تتوسل بأية وسيلة لإيهام السامعين ومغالطتهم
حتى يذعنوا لرؤية المتكلم وما يذهب إليه، فما كان من الدارسين إلا أن أعرضوا عن
بلاغة الخطابة ومنطقها في الدلالة على الحجاج واعتبارها سبيلًا إليه، بالنظر إلى
أساسها المغالط الكذوب. ومحال أن يتوسل خطاب رباني بمثل ما تتوسل به الخطابة،
فكان الحل أن يُؤطر حجاج القرآن بكل صورته بجدل ولكن على سمت العرب، بل
على وفق جلال الخطاب القرآني وصحة معانيه وجدية مقاصده. فكان جدلا لإحداث
التصديق وإقامة الحجة الدينية. وجهد الدارسون في تمييز هذا الجدل القرآني عن جدل
أرسطو، وظل قطاع هائل من منطق الخطاب موزعا بين المباحث البلاغية، مع أن
عناوينه حجاجية وحوارية وإقناعية ولكن لا حيلة وهي لا تستجيب لمقدمات المنطق
ونتائجه مع أن حملتها الإقناعية لا تخفى على ذي نباهة.

هنا يتموضع هذا البحث في جمع النظائر والأشباه، ومدّ خط رابط مهما بدا
قاصرا واستهلاليا، فقد اجتهد في سلك الصور والظواهر تحت عناوينها الملائمة،

وحسبنا ذلك في انتظار عودة تَسْتَكْنُهُ بنية كل مبحث على حدة، وفق الهيكل العام ذاته مع تفصيل التصنيف وتدقيقه ولكل ذلك مشروع آخر.

فبين المشروع المتمثل في توسيع الحجاج ليضيف إلى جدل القرآن حجاج الخطابة، فيلتئم منطق الخطاب بخطاب المنطق، كان الإنجاز متمثلاً في جهاز حجاجي خطابي بالغ التنوع مع أنه ليس استقصائياً بقدر ما هو تمثيلي توحي الملاءمة والاختيار، فقد توزعت أشتات منطق الخطاب أو حجاج الخطاب بين صور حجاجية غلب عليها منظور المحاجج، وهنا كانت ثروة الدراسات الإعجازية، وهو الأمر الذي لا نستغربه على اعتبار الخطاب القرآني خطاباً إعجازياً يريد الدلالة على ربانية مصدره فلا غرو أن تكون صور الحجاج في أغلبها آيلة إلى مصدر الحجة ومبينة لمقاصده، فجمعنا ضمن المستوى الدلالي ومن منظور أصولي: حججا تحتاج بمنطوقها، وأخرى بمفهومها، وحججا تقنع بدلالاتها العامة وأخرى بدلالاتها الخاصة، وحججا تحقق مقاصدها بدلالة محكمة وأخرى لا تحقق المقصد إلا بالرجوع إلى قسيمها المحكم، أو تؤثر من خلال رد الأمر لصاحب الحجة، وحسبها تسليم المحجوج وامتناله حتى بما انغلق على فهمه فيوكله لصاحب الحجة. كما انخرط مبحث النسخ في المستوى ذاته، على اعتبار الحجج متحركة وحية قبل استواء النص وانتهاء وحيه، فكانت بعض الحجج المتعلقة بالأوامر والنواهي قد نسخت مدلولاتها الحكيمة أو دوالها التعبيرية، مما يبرر سلكه ضمن هذا المستوى بالنظر إلى حركة الدلالة فيه بين الثبوت والتغيير.

ومن منظور بلاغي، تم إدراج حجج دلالية تستثمر طاقات اللغة في التصريح والإيحاء وهما من سبل الحجاج الغنية والغزيرة، والبحوث المعاصرة للباحثة "كربرات أوريكيوني" تشهد على ذلك من خلال دراسات عن الإيحاء والحجاج بالسلطة وغيرها،

فكان المجاز بلا منازع حجة الحجج المتوسلة بالإيحاء ومفارقة التعيين لإحداث الإقناع بالوحي والإشارة. فانتقل المجاز من خضم الصراع عن شرعية وجوده إلى نطاق إثبات الفكرة وتصديقها، كما أدرج ضمن مسافة التوتر بين الظاهر والباطن ما أسماه ابن قتيبة مخالفة ظاهر اللفظ معناه وغيره بعكس الظاهر، مبحث التضمين ومبحث التعريض وهي مباحث تجمعها مخالفة ظاهر اللفظ معناه: فالتضمين والتعريض استغلال قدرة اللغة على تحميل المعنى وبنائه طبقات بعضها فوق بعض، فتارة ينعكس مدلول الظاهر تماما فيكون المقصود من الحجة عكس ما تعينه، وأحيانا ترفقه بمقصود مصاحب لا ينفي مقصود الظاهر ولا الباطن، وأحيانا لا هذا ولا ذاك ويكون المقصود في السياق، ولا يفهمه المتلقي إلا وفق تلك الإحالة.

وفي مستوى النظم، سلك البحث صور الالتفات والحذف والتكرار والتقديم والتأخير، لتعكس استثمار الحجاج الخطابى لإجراءات أسلوبية نظمية كان المعتاد أن يستدل بها على براعة الأسلوب وسعة التصرف، فإذا هي مشحونة بالمقاصد الحجاجية والآثار الإقناعية.

فإذا انتقل البحث إلى التقاط صور الحجاج وهي تراعي متلقي الحجة، تجتمع جملة من العناوين التي أدرك الدارسون للإعجاز توفرها على مقاييس الحجاج والإقناع، فكان منها تنوع الخطابات، والتقبل النفسي، وتقدير السؤال ومناسبة الحال والمقام والوعد والوعيد، وهي الصور التي استتبط البحث دورانها على رعاية المتلقي من حيث توجه الخطاب القرآني من التنزيه لصاحب الحجة إلى التكريم لمتلقيها باعتباره متلقي الحجة الربانية، أما من استتكف عنها فقد توجه إليه الخطاب بما يكافئ سلوكه من التقريع والتوبيخ.

هذه هي منظومة منطق الخطاب موزعة على مستويي الدلالة والنظم، منظومة تتمحور حول أطراف الحجاج، فتارة يهيمن فيها المحاجج وهي الغالبة، وأخرى يأخذ المتلقي فيها اعتباره وهي الأقل، لأن القصد الكلي هو الإعجاز.

أما خطاب المنطق الذي انتصب موازيا للمنطق الأول، فقد أجل البحث تناوله مع الوعي الكامل باستواء درسه في التراث ووضوح عناوينه، وبالتالي لا يحتاج إلا إلى قراءة تؤطره وتُلطّف لغته وتزيد وضوح أمثلته، فقد أفرده الدارسون بمباحث واضحة ساعين إلى تأسيسه على وفق ما ينزه الخطاب القرآني عن الاستدلال المغالط أو الإيهام، بل هو حجاج تصديقي برهاني ملائم للاعتقاد والتنزيه، فكانت منظومة عقلية معضدة للحجاج الخطابية.

وبهذا يكون البحث قد برر عنوانه حين جعله حديثاً في الجمال والإقناع، وفي منطق الخطاب واللغة، فقد تجاوز الخطاب القرآني بالفعل الفصل بين الإمتاع والافتتاع، ولاس بين صرامة الحجة وجمالها فكانت الأساليب هي ثوب الحجة الجميل وكان منطق الخطاب هو قوة الحجة المكيّنة، مزوجة تستجيب للطبيعة والواقع حيث لا غنى لقوة العقل عن جمال العاطفة وبالعكس، وهذا هو المثال والمعجز وتلك مرتبة الخطاب القرآني.

الإحالات:

- 1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2ص34
 - 2- سورة فصلت من الآية 11
 - 3- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 106
 - 4- المرجع نفسه، ص 109
 - 5- ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة، ج1 ص 389
-
-

-
-
- 6-المرجع نفسه، ج 1 ص 292
- 7-المرجع نفسه، ج 1 ص 293
- 8-السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج 1 ص 208
- 9-الفاضل عبد الجبار، متشابه القرآن، ص 19
- 10-السيوطي، معترك الأقران، ج 1 ص 109-124
- 11- سورة النساء الآية 58
- 12-سورة البقرة الآية 183
- 13- سورة المائدة الآيتان 90-91
- 14- سورة المائدة الآية 1
- 15-سورة البقرة الآية 187
- 16- سورة البقرة الآية 173
- 17- الزرقاني مناهل العرفان ج 2 ص 199-203
- 18-سورة النساء الآية 10
- 19-سورة المائدة الآية 42
- 20-الجاحظ ، كتاب الحيوان ج 5 ص 25
- 21- عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية عند الجاحظ حوليات الجامعة التونسية ، ص 167
- 22- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 ص 8
- 23-الجاحظ، كتاب الحيوان، ج 5 ص 280-281
- 24- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 212-214
- 25-الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 330
- 26-المرجع السابق، ص 357
- 27- الجرجاني، أسرار البلاغة ص 120-124-1
- 28- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص 275
- 29- سورة الذاريات الآية 10
- 30-سورة المائدة الآية 116
- 31- سورة النبأ الآيتان 1 و 2
- 32- سورة فصلت الآية 40
- 33-سورة النساء الآية 34
-
-

-
-
- 34-سورة النور الآية 33
35-ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص 280 .
36- سورة البقرة الآية 228
37-سورة الواقعة، الآية 79
38-سورة الشعراء، الآية 227
39-سورة الأحقاف، الآية 35
40-سورة ص، الآية 8
41- الزركشي البرهان ج2 ص 331
42- سورة سبأ الآية 24
43-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2 ص 231
44-سورة الانفطار الآية 8
45- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 105
46-سورة يونس الآية 94
47- المرجع السابق، ص 82
48-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، ص 82
49- المرجع نفسه، ص 272
50-سورة يوسف الآية 82
51-سورة النمل الآيتان 10 و 11
52-ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، ص 221
53-المرجع نفسه، ص 221
54- سورة القمر الآية 15
55-الزمخشري، الكشاف، ج 2 ص 422
56-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 266
57-المرجع نفسه، ص 280-281
58-المرجع نفسه، ص 281-1
59-سورة الرحمان
60-ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص 239
61- المرجع نفسه، ص 237
-
-

-
-
- 62-المرجع نفسه، ص 236
- 63- الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص 211
- 64- الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص 216
- 65-المرجع نفسه، ص 218
- 66- سورة الحشر الآية 2
- 67-الزمخشري، الكشاف ج2 ص 445
- 68-سورة البقرة الآية 173
- 69-السيوطي، معترك الأقران، ج 1 ص 93
- 70-سورة البقرة الآية 187
- 71- سورة البقرة الآية 229
- 72-السيوطي، معترك الأقران، ج 1 ص 93
- 73- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 13
- 74-المرجع نفسه، ص 12
- 75-الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج 2 ص 164-168
- 76- الجاحظ، البيان والتبيين ج 2 ص 315
- 77- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 ص 94
- 78- الجاحظ، كتاب الحيوان ج 5 ص 32
- 79-الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 96
- 80-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 66
- 81-المرجع نفسه، ص 67
- 82- المرجع نفسه، ص 70
- 83- الجاحظ، البيان والتبيين ج 1 ص 92
- 84-الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1 ص 188
- 85-المرجع نفسه، ج 1 ص 188
- 86-المرجع نفسه، ج 1 ص 188
- 87- المرجع نفسه، ج 1 ص 58
-
-

القرآن الكريم

المراجع:

- 1- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح أحمد صقر، المكتبة العلمية، د. ط، د. ت.
 - 2- ابن قيم الجوزية الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، مطبعة الإمام، مصر 1380 هـ
 - 3- الجاحظ، الحيوان، تحقيق هارون، مطبعة الحلبي، ط 1، القاهرة 1943، و طبعة دار ومكتبة الهلال، ت يحيى الشامي، ط3، 1997
 - 4- الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، ت عبد السلام هارون، دار الفكر، وطبعة دار الكتب العلمية 1998
 - 5- الرمانى، أبو عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل ت محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط4، دار المعارف، مصر 1991
 - 6- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، لبنان، دار المعرف ط2، 1972
 - 7- الزرقاني، عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2001
 - 8- السيوطي، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ت علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي
 - 9- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت هـ. ريتز، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983 وطبعة دار المعرفة، ت محمد رشيد رضا، بيروت، 1981
 - 10- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1981 والطبعة الثانية، 1998
 - 11- عبد السلام المسدي ، المقاييس الأسلوبية عند الجاحظ حوليات الجامعة التونسية، ع 13، 1976
 - 12- الفخر الرازي، محمد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت أحمد حجازي السقا، دار الجيل بيروت والمكتب الثقافي القاهرة، ط1، 1412، 1992
 - 13- القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن، ت عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة، 1966
-
-